جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحثالعلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

النقد الثقافي

ماجستيرأدب

أسم المادة / مناهج نقدية حديثة

أستاذ المادة
أ.د. غنام محمد خضر

٢٠٢٥- ٢٠٢٦

دراسات ادبية حديثة

"النقد الثقافي"

اعداد: محمد عبد الله

اشراف: ا.د غنام محمد

النقد الثقافي غربياً: تعطي الدراسات الثقافية مساحة عريضة من الاهتمام اليوم، وقد حظيت بشيوع واسع في التسعينات، مع أن بعض أصولها تعود إلى مدرسة فرانكفورت الألمانية النقدية، غير أنها قد ابتدأت منذ عام ١٩٦٤ كبداية رسمية، منذ أن تأسست مجموعة برمنغهام في إنكلترا تحت مسمى "مركز برمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة" ومرَّ المركز بتطورات وتحولات عديدة، إلى أن انتشرت عدوى الاهتمام النقدي الثقافي متصاحبة مع النظريات النقدية النصوصية والألسنية وتحولات ما بعد البنيوية، ليتشكل من كل ذلك تيارات نقدية متنوعة المبادئ والاهتمامات.

أشار "هوغارت" وهو أول رئيس المركز برمنغهام بوضوح إلى مصادرهم النظرية محدداً إياها بثلاثة مصادر، هي تاريخية وفلسفية أولاً، وإلى حد ما سوسيولوجية، وأخيراً أدبية نقدية، وهذا هو الأهم كما يقول هو غارت، كما تركز على العوامل الاقتصادية والمادية خاصة الاتجاه المسمى بالمادية الثقافية ومفهوم رأسمال الثقافي، وتمجيد للخطاب المعارض والاحتفال بالهامشي في مواجهة ما اصطلح على وصفه بالراقي وهكذا يعود الفضل كل الفضل للدراسات الثقافية في الاهتمام بالمهمل والمهمش، وتوجهها نحو نقد أنماط الهيمنة، مما فتح أبواباً من البحث ذي الاتجاه الإنساني النقدي الجريء. واصلت دراسة وتحليل واقع الثقافة الغربية، ومعالم الاضمحلال في ظل انعدام الوصاية النقدية وسيادة أدوات السيطرة الاجتماعية الجديدة، وتهميش الأبعاد الإنسانية المرتبطة بالتحرر والانعتاق."[١]

وفي السنوات الأخيرة يطلع (أرثر أيزابرجر) بكتابه الموسوم "النقد الثقافي" تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، وأيزا برغر أستاذ فنون الاتصالات الإلكترونية والنشر بجامعة سان فرانسيسكو، وكاتب غزير الإنتاج في مجال الثقافة الجماهيرية الشعبية، ومن الواضح أنه قدم إلى النقد الثقافي من حقل علوم الاتصال وليس من خلفية أدبية نقدية خالصة، وهذا مؤشر أول يساعدنا على فهم توجهات النقاد الثقافيين الذين انطلقوا من إعادة ربط النقد الأدبي بتفاعلات الثقافة بمفهومها الفكري والاجتماعي.

([١])نقلاً عن ، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، ا.د حفناوي بعلي : ٣٣ـ٣٤

سعى آرثر أيزا برغر في كتابه إلى شرح وتفسير النقد الثقافي والدراسات الثقافية في مصطلحات مبسطة، حيث قدم عدداً من المفاهيم والأفكار في نظرية الأدب، وعلم العلامات والتحليل النفسي، والتفكير الماركسي والفكر الاجتماعي، وعلاقة كل ذلك بالنقد الثقافي. يقدم ما يشبه خارطة الجغرافية النقد الثقافي، تبين الأماكن وأسماء الأعلام الرواد للخطاب الثقافي. حيث ظهر في فرنسا رولان بارت، ميشيل فوكو، جاك دريدا، وفي ألمانيا: يورجين هابرماس، وفي الولايات المتحدة فيكتور تيرنير، وفي إنكلترا ريتشارد هوغارت، وفي إيطاليا أمبرتو إيكو"[٢].

وهكذا تحولت تحولاً واضحاً في الثمانينات عما عليه الموقف في الخمسينات والستينات، لأن الناس أصبحوا أكثر استعداداً - نتيجة التغيرات العامة اجتماعية وشكلية - للارتباط المباشر بالثقافة الشعبية. ومما يمكن الدفاع عنه من الوجهة الثقافية، تحليل المسلسلات والأعمال الدرامية المختلفة، وكذا الروايات البوليسية، وبعدها السوسيولوجي في الدراسات الثقافية وتنضم إليها كتابات أخرى تعالج الثقافة نفسها، وموضوعات ثقافية أخرى، في خطابات مختلفة، من بينها الأدب والنقد الأدبي والأدب المقارن.

ويذكر إن اول من اطلق مصطلح النقد الثقافي كمصطلح هو الناقد الأمريكي (فنسنت ب.ليتش) وقد اطلق مصطلح "النقد الثقافي" على نظريات الأدب ما بعد الحداثة ، وذلك في كتابه الذي اصدر عام ١٩٩٢م، بعنوان "النقد الثقافي: نظرية الادب لـ "ما بعد الحداثة"، والذي اهتم بدراسة الخطابات في ضوء التاريخ والاجتماع والسياسة والمؤسساتية ومناهج النقد الأدبي، فقد ربط بين النص والاتجاهات الأخرى في العملية النقدية الثقافية، فقد حمل رؤية خاصة ولاسيما في التعامل مع النصوص الادبية والخطابات بأنواعها عبر أنساق ثقافية تستكشف ما هو غير مؤسساتي وغير جمالي ، أي أنه أكد على خصوصية الأنساق المضمرة في النص الادبي.

ولعل أهمية النقد الثقافي تكمن في جرأته وامكانياته على التجدد والانتاج ـ أي اعادة انتاج النص ـ، اذ يواكب روح العصر، ويستلهم الواقع، لذا يحتاج الى تأني ودقة وعمق ومراجعة جادة، وهذا ما جعل النقد الثقافي يعد نشاطاً فكريا "يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها"[٣]، فلم يكن بديلا عن النقد الأدبي والبلاغي بقدر ما كان محاولة منهجية تتمحور حول استكشاف الأنساق الثقافية المضمرة.

---

(٢)مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ا.د حفناوي بعلي :٢٦

(٣) دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي - المغرب ، ط٥ ، ٢٠٠٥م : ٣٠٥

وقد عرّف فينسنت ليتش النقد الثقافي بأنه:

"مجال واسع ومتعدد التخصصات يدمج بين النظرية الأدبية، والدراسات الثقافية، والتحليل الأيديولوجي، بهدف فضح علاقات السلطة والهيمنة التي تنتجها وتعيد إنتاجها الخطابات الثقافية المختلفة، بما في ذلك الأدب."

النقد الثقافي عربياً: وتعددت مفاهيم الثقافة، بين العلماء، كلٍ حسب رؤيته لها، من خلال الفكر الذي يبحث فيه، وفيما يلي تعريف د. حسين الصديق للثقافة:

" الثقافة هي مجموع المعطيات التي تميل إلى الظهور بشكل منظم فيما بينها مشكّلة مجموعة من الأنساق المعرفية الاجتماعية المتعددة؛ التي تنظم حياة الأفراد ضمن جماعة تشترك فيما بينها في الزمان والمكان. فالثقافة ما هي إلا التمثيل الفكري للمجتمع، والذي ينطلق منه العقل الإنساني في تطوير عمله وخلق إبداعاته، فهي بهذا المعنى تختلط بالمجتمع فلا يمكن التفريق بينهما إلا في مستوى التمثيل، فهي بالتالي تحدّد هوية المجتمع في كافة أبعاده المادية والمعنوية".[٤]

فالثقافة لها سمات ومن اهمها:(إنسانية، مكتسبة، تطورية، تكاملية، استمرارية، انتقالية، تنبؤية).

تعريف النقد الثقافي

أظهرت بعض الدراسات النقدية لاسيما المهتمة بتاريخ النقد الثقافي ونشأته بعض الآراء حول ريادة النقد الثقافي قبل طروحات الغذامي.

*م/ قد نبّه جميل حمداوي على مسألة مهمة بقوله: "علينا ان لا نخلط النقد الثقافي بنقد الثقافة، فالنقد الثقافي هو الذي يتعامل مع النصوص والخطابات الأدبية والجمالية والفنية، فيحاول استكشاف انساقها الثقافية المضمرة غير الواعية، وينتمي هذا النقد الثقافي الى ما يسمى بنظرية الادب على سبيل التدقيق"[٥].

اما في المفهوم الحديث للنقد الثقافي الذي يعمل على النصوص الأدبية فإن ابرز من مثل النقد الثقافي هم كلٌ من الدكتور عبدالله الغذامي في كتابه " النقد الثقافي: قراءة في الانساق الثقافية" وكذلك صلاح قنصوة في كتابه "تمارين في النقد الثقافي" ومحمد جاسم الموسوي في كتابه "النظرية والنقد القافي"، وادوارد سعيد ـ امريكي الجنسية عربي الأصل ــ في كتابه "الاستشراق، اضافةً الى الناقد عبدالنبي اصطيف ".

(٤)الإنسان والسلطة، د/ حسين الصديق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص: ١٨،١٧.
(٥) نظية النقد الادبي ، جميل حمداوي : ٧٦ـ٧٧

فالنقد الثقافي الادبي يبين الأبعاد الاجتماعية والتاريخية لنص معين، ومدى تفاعله مع الثقافة، كما يربط بين البنية اللفظية والوضع الاجتماعي والفكري والثقافي، وقد عرفه الغذامي بأنه" فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول "الألسنية" مَعْني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء. من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي. وهو لذا مَعْني بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة (البلاغي/الجمالي)، وكما أن لدينا نظريات في الجماليات، فإن المطلوب إيجاد نظريات في (القبحيات) لا بمعنى البحث عن جماليات القبح، مما هو إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغى في تدشين الجمالي وتعزيزه، وإنما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي والحس النقدي"[٦].

وعرفه ايضاً جميل حمداوي بأنه "النقد الذي يدرس الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة. وبتعبير آخر، هو ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن ومن ثم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والقيم الحضارية والإنسانية. ومن هنا يتعامل النقد الثقافي مع الأدب الجمالي ليس باعتباره نصا، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضمر أكثر مما تعلن"[٧].

المؤثرات الثقافية

استفاد النقد الثقافي نظرية وتطبيقا من حقول ومجالات معرفية عدة مثل: الفلسفة، والبلاغة والأدب والنقد. كما انفتح على مجموعة من المناهج النقدية تمثلا أو معارضة، مثل: البنيوية، والسيميائيات، والتفكيكية والتأويلية والنقد النسائي والبنيوية الأنتروبولوجية، وجمالية القراءة، والماركسية الجديدة، والتاريخانية الجديدة، والنقد الكولونيالي أو ما يسمى أيضا بالنقد الاستعماري، والنقد الجنوسي ... وبصفة عامة، لقد تأثر النقد الثقافي أيما تأثر بالنقد الحداثي والنقد ما بعد الحداثي على حد سواء.

([٦])النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، د/عبد الله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، بالدار البيضاء وبيروت، ط/٢، ٢٠٠١.ص: ٨٣،٨٤.

([٧])نظريات النقد الادبي والبلاغة "في مرحلة ما بعد الحداثة"، جميل حمداوي: ٧٧

كما قد تأثر هذا النقد الثقافي بكتابات ريتشاردز ورولان بارت و ميشيل فوكو، وجاك ديريدا."[٨]

اهم مرتكزات النقد الثقافي

الوظيفة النسقية "يرى الغذامي أنه لابد من ربط النقد الثقافي بالنسقية، فإذا كان رومان جاكبسون قد حدد ست وظائف لستة عناصر الوظيفة الجمالية للرسالة والوظيفة الانفعالية للمرسل، والوظيفة التأثيرية للمتلقي، والوظيفة المرجعية للمرجع، والوظيفة الحفاظية للقناة، والوظيفة الوصفية للغة. فقد حان الوقت لإضافة الوظيفة النسقية للعنصر النسقي. ويعني هذا أن النقد الثقافي يهتم بالمضمر في النصوص والخطابات، ويستقصي اللاوعي النصي، وينتقل دلاليا من الدلالات الحرفية والتضمينية إلى الدلالات النسقية.

الدلالة النسقية يستند النقد الثقافي إلى ثلاث دلالات: الدلالة المباشرة الحرفية والدلالة الإيحائية المجازية الرمزية، والدلالة النسقية الثقافية.

وما يهمنا في هذه الدلالات الثلاث هي الدلالة الثقافية الرمزية التي تكتشف على مستوى الباطن والمضمر، فتصبح أهم من الدلالتين السابقتين: الحرفية والجمالية.

الجملة الثقافية يعتمد النقد الثقافي على التمييز المنهجي بين ثلاث جمل رئيسة، وهي: الجملة النحوية ذات المدلول التداولي، والجملة الأدبية ذات المدلول الضمني والمجازي والإيحائي والجملة الثقافية التي هي : " حصيلة الناتج الدلالي للمعطى النسقي، وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة.

النسق المضمر" يعتمد النقد الثقافي على مصطلح النسق المضمر، وهو نسق مركزي في إطار المقاربة الثقافية باعتبار أن كل ثقافة معينة تحمل في طياتها أنساقا مهيمنة، فالنسق الجمالي والبلاغي في الأدب يخفي أنساقا ثقافية مضمرة، ويعني هذا أن النقد الثقافي يكشف أنساقا متناقضة ومتصارعة، فيتضح بأن هناك نسقا ظاهرا يقول شيئا، ونسقا مضمرا غير واع وغير معلن يقول شيئا آخر."[٩].

المؤلف المزدوج: يمكن الحديث في إطار المقاربة الثقافية - بشكل من الأشكال ـ عن مؤلف مزدوج، الكاتب الجمالي والأدبي الذي ينتج أنساقا أدبية وجمالية فنية ظاهرة ومباشرة أو غير مباشرة، وذلك عن طريق الرمزية والإيحائية، وهناك في

([٨])المصدر نفسه : ٨٣

([٩])النقد الثقافي، عبدالله الغذامي: ٧٤ ـ ٨٠

المقابل المبدع الثقافي الذي يتمثل في الثقافة نفسها التي تتوارى وراء الظاهر في شكل أنساق مضمرة غير واعية:" يأتي مفهوم المؤلف المزدوج بعد هذه المنظومة الاصطلاحية لتأكيد أن هناك مؤلفا آخر بإزاء المؤلف المعهود، وذلك هو أن الثقافة ذاتها تعمل عمل مؤلف آخر يصاحب المؤلف المعلن، وتشترك الثقافة بغرس أنساقها من تحت نظر المؤلف، ويكون المؤلف في حالة إبداع كامل الإبداعية حسب شرط الجميل الإبداعي، غير أننا سنجد من تحت هذه الإبداعية وفي مضمر النص سنجد نسقاً كامناً وفاعلا ليس في وعي صاحب النص، ولكنه نسق له وجود حقيقي، وإن كان مضمرا، إننا نقول بمشاركة الثقافة كمؤلف فاعل ومؤثر، والمبدع يبدع نصا جميلا فيما الثقافة تبدع نسقا مضمرا، ولا يكشف ذلك غير النقد الثقافي بأدواته المقترحة هنا."

ويعني هذا أن هناك فاعلين رئيسين: المبدع الفردي أو ما يسمى أيضا بالمبدع الأدبي والجمالي والفني، والفاعل الثقافي الذي يتمثل في السياق الثقافي.

العمى الثقافي: لقد أدى النقد الأدبي دورًا مهما في الوقوف على (جماليات) النصوص، وفي تدريبنا على تذوُّق الجمالي وتقبل الجميل النصوصي، ولكن النقد الأدبي، مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه، أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النَّسَقِية المختبئة من تحت عباءة الجمالي، وظلت العيوب النسقية تتوالى مُتَوَسَّلَةً بالجمالي، الشعري والبلاغي حتى صارت نموذجًا سُلُوكيًا يتحكم فينا ذهنيا وعمليا، وحتى صارت نماذجنا الراقية - بلاغيا - هي مصادر الخلل النَّسَقِي"[١٠]

نمــاذج

قول المتنبي

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم

"يحتل المتنبي الصدارة في الخطاب النسقي، فعبر هذه الجمل يجري منح الفحل النسقي صفات التمييز الطبقي، فالثقافة هي المانحة وهي المؤسسة لذلك كله"[١١]

نزار قباني

([١٠])النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله الغذامي: ٨ـ٩

([١١])المصدر نفسه:١٣٠

فصلت من جلد النساء عباءة وبنيت اهراماً من الحلـمات

"هي كلمات بمثابة البيان الرسمي عن الاستفحال، يتفوه بها نزار بلسان حال كل فحل وكل رجل، لأنها تمثل النسق الثقافي المغروس في أذهان الرجال عن وظيفتهم الوجودية مع الجسد المؤنث."[١٢]

(١٢)المصدر نفسه: ٢٦٧